آراء وافكار

افتقار اللغة العربية

« الى كلمات جديدة »

يعود هذا الافتقار الى ثلاثة اسباب : السبب الاول يعود الى اللغة نفسها ذلك لان الاشتقاق في العربية مؤسس على عدد معلوم من الصيغ المحدودة بمعناها ، من مثل وزن (أفعل) ووزن (استفعل) ؛ كما هو وارد في علم الصرف . والحال ان لدينا معاني كثيرة لا يمكننا ان نعبر عنها بصيغ الأفعال العربية ، من مثل الألفاظ المركبة في اللغات الفرنجية : لان الصيغة في العربية لها معنى واحد ، لا معنى مزدوج ، مع ان كثيراً من الألفاظ في اللغات الفرنجية تعبر عن معنى مزدوج ، لانها مصوغة من جذرين ، من مثل (Baromètre) و (Thermomètre) و (Anémométre) وأمثال هذه الألفاظ المنتهية باللفظة (mètre) تعدّ بالمئات في لغات اهل اوربة[1] .

السبب الثاني ليس في العربية صيغ تؤدي أغلب معنى السوابق واللواحق[2] ، مثلاً (Souterrain) ومعناها « الذي هو تحت الارض » ، و (Survoler) في مثل قولنا (L'avion survole Beyrouth) ، ومعناها « الطيارة تطير فوق بيروت » ، و (Surtaxe) ، ومعناها « رسم اضافي » ، (inscrire(écrire dedans

---

(١) لا ننكر ان العرب قد استخدموا هذه الطريقة في سالف العصور ، وأطلقوا عليها اسم (النحت) ، فصاغوا الفاظاً كهذه : حمدلة (من الحمد لله) ، بسملة (من بسم الله) الخ ، لكن هذه الألفاظ لا تكاد تتعدى العشرة . وقد أغلق هذا الباب في وجه اللغة منذ قرون . وسنعود الى هذا البحث في مقالة أخرى ان شاء الله .

(٢) قد عربنا اللفظة (préfixe) باللفظة « سابقة ج سوابق » ، واللفظة (suffixe) باللفظة « لاحقة ج لواحق » . والاولى تُلصق بمقدمة الجذر الاول من جذور الكلمة لتغير معناها ، والثانية تُلصق بآخر جذر من الكلمة ، للغاية نفسها . وأطلقنا على كلمتي السابقة واللاحقة اسم « لواصق » (affixe) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومعناها « كتب في، ضمن » ، واللفظة (in) بمعنى الى في مثلاً (imprévu) ، اي غير متوقع .

فهذه السوابق واللواحق في لغات اوربا يتجاوز عددها في الغالب الستين .

فلو فرضنا انهم صاغوا بكل أداةٍ نحواً من ثلاثمائة كلمة فيحصل ١٨ الف كلمة . وهذا غير موجود في اللغة العربية ، اذ ليس فيها صيغ تؤدي تلك المعاني .

السبب الثالث : ان انقطاع عهد العلم عند العرب حال ايضاً دون تقدم اللغة ، وأدّى الى إصابتها بالفقر والعجز . وقد مر على ذلك العهد قرون ، توصل فيها العقل البشري — في غير بلادنا — الى استنباط آلاف المخترعات الطبيعية والزراعية والتجارية والفنية الخ ، فبلغ عدد المسميات في مختلف العلوم والصناعات، حداً لا يكاد يحصر ، والعربية ثابتة في موقف واحد ، كأن باب الاجتهاد قد أوصد في وجهها ، وليس في سنن الخلق ما يوجب ذلك الإيصاد بالنظر الى اللغة ، فصارت اللغة الى ما صارت اليه من العجز والفقر[1] .

ان تاريخ اللغات يؤكد لنا ان اللغات في بدء الامر لم يكن لها سوابق préfixes ولا لواحق suffixes ، بل كان لها جذور فقط . وهذه السوابق واللواحق كانت في الاصل الفاظاً قائمة بذاتها ، ثم التصقت بالجذور بصورة مقتضبة ، و بالتصاقها هذا صارت ادوات غير قائمة بذاتها ، بل ملصقة بالجذور لتغيير معانيها .

فاللاحقة (ment) صاغ منها الفرنسويون آلافاً من الظروف . وهذه اللاحقة هي لفظة لاتينية معناها « بِرُوح » فقولك في اللاتينية (Suavimente) معناه « بروحٍ لطيف » فصار بالفرنسوية (suavement) بالمعنى نفسه . وانت ترى ان لفظها بالفرنسوية الطف واوجز .

وان الكلمة (automobile) اصلها بمعنى « هو نفسه » ومعنى الكلمة كلها « المتحرك هو نفسه » .

والكلمة (bicyclette) اصل السابقة فيها باللاتينية (bis) ومعناها «مرتان»

---

(١) راجع مقدمة الالياذة للعلامة سليمان البستاني .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

و (cycle) لفظة يونانية معناها دائرة او عجلة · فمعنى (bicyclette) حرفياً « فيها عجلتان اثنتان صغيرتان » لان (cyclette) مصغر (cycle) ·

والكلمة (archevêque) اصل السابقة فيها (arch) وهي في اليونانية بمعنى رئيس · ومن هذه السابقة تتألف كلمات عديدة من مثل (archidiacre) و (archiprêtre) الخ ·

فكل من اللاحقة والسابقة كان في الاصل كلمةً مستقلة عن سائر الكلمات ، ثم التصقت بما سواها بصورة مقتضية — كما سبق القول — فصارت أداةً سابقةً او لاحقة ، تستخدم مع عشرات بل مئات من الجذور لزيادة معناها الاصلي ، اي معنى تلك الجذور كما رأيت في الأمثلة السابقة الذكر ·

وهذا الرأي أجمع عليه الائمة اللغويون · ونحن تأييداً لذلك نأتي بشاهدين :

الشاهد الاول : ان عدد اللواصق (affixes) لا يزال يزداد في اللغات الحديثة · فالسابقة (ex) في (Exofficier) (اي الضابط سابقاً) لم تكن معروفةً في اللغة الفرنسوية القديمة ، وقد أخذت من اللاتينية ، ومعناها « (من غدا) خارجاً » ، فقالوا — كما سبقت الاشارة — (Exofficier) اي (من غدا) خارجاً عن وظيفة ضابط ، فعبروا عنها بالعربية « الضابط سابقاً » ·

الشاهد الثاني : ان من اللواحق (suffixes) ما لا تقتبسه اللغة من الفاظها ، بل من الفاظ غيرها لغةً · وان آلافاً من الألفاظ العلمية المصطلح عليها في اللغات الافرنجية مصوغة بواسطة لواصق (affixes) يونانية · مثلاً (antirabique) في قولك (institut antirabique) معناها « معهد لمقاومة الكلب · فاللفظة (anti) هي سابقة يونانية اخذها الفرنجة عموماً للدلالة على معنى المقاومة ·

الشاهد الثالث : في اللهجات العامية نجد على ذلك التحول العجيب أمثلة فتّانة مثلاً : صيغة المستقبل « رَحْيكتب » اصلها « رائح اكتب » فاللفظة رائح هي اسم فاعل من « راح » · والشين النافية من قولنا « ما كْتبتش » اصلها « ما كتبت شيئاً » فصارت الشين لاحقةً (suffixe) وقد فقدت معناها الاصلي وصارت للنفي و « عَمْيكتب » اصلها « عمّال اكتب » الخ ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ذلك هو البرهان اللغوي على إمكان معالجة فقر اللغة .

* * *

اما البرهان الاختباري على سد تلك الثلمة باغناء اللغة العربية ، فنأخذه من تاريخ تطوُّر اللغة العربية ، فنقول :

(١) لم يكن في اللغة العربية القديمة كل الصيغ التي نراها فيها الآن ، من مثل الكلمة « علاّمة » فانها وُجدت بعد « عالم » ، لانها تدل على مبالغة معنوية في اسم الفاعل أي « العالم جداً » ومن المعلوم ان المزيد على الشيء يكون لاحقاً للشيء نفسه .

كذلك وزن «استفعل» وُجد في تاريخ اشتقاق الصيغ بعد وزن « فعل » بدليل ان معنى « استفعل » هو طلب عمل الفعل ، المعبر عنه بصيغة « فعل » الاصلية .

واليك جدولاً صغيراً يدلك على الالفاظ المتجانسة للفعل « قطع » :

قطّ : قطع القلم و— نحوه حافر الحصان بقطعه .

قطم : بمعنى الجذر الثنائي ، دون زيادة .

قطب : بمعنى الجذر الثنائي ، دون زيادة .

قطف : قطع الثمرة .

قطم : قطع بالاسنان .

قصّ : قطع الشعر والأظفار .

قصب : (الجزار خروفاً) قطعه ، الخ .

فينتج عن هذا البرهان الاخير سؤال وهو : أيهما أعسر أإدخالُ بعض السوابق واللواحق على اللغة العربية ، أم صيغة « فعل » الجوهرية ، التي اشتقت — كما بينا — من جذر ثنائي ؟

(٢) قد أُدخل الادباء ، في النهضة الاخيرة لا أقل من سابقة (préfixe) واحدة ، وهي « لا » ، واشتقوا بواسطتها ما لا يقلّ عن عشرة الفاظ مفيدة ، من مثل : « لامتناه ، لانهاية ، لامركزية ، لاطائفية ، لاسلكي ، الخ . وهي جارية على أقلام أئمة الأدب ، من مثل قول الياس بك فياض في قصيدته التي يخاطب فيها النجوم ، قائلاً :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« أثغور كئيبة ، أم جراح أنتِ ، في اللانهاية السوداء ؟ »

فما المانع بعد كل تلك البراهين ، من تغيير اللغة وإمكان إغنائها بتعميم استعمال « لا » سابقة كما فعل الفرنجة ، فنقول :

(imprévu) لا متوقع ، (indocile) لا منقاد ، (illimité) لا محدود ، (immatériel) لامادّي ، (incommode) لامُريح ، (intacte) لامسوس .

ثم إننا باضافة ياء النسبة وتاء التأنيث نزيد على كل من مئات تلك الألفاظ الجديدة الفصيحة لفظاً آخر بمعنى الصفة المجردة ، مثلاً : لامنقادية ، لامحدودية ، لامادية ، الخ .

بهذه الوسيلة وحدها نُغني العربية بما لايقلّ عن ثلاثة آلاف لفظة .

وما المانع ايضاً من إدخال أشد اللواحق لزوماً للغة العربية ، من مثل (anti) و (auto) واللاحقتين (mèrte) و(grafe) فبهذه الطريقة ايضاً نُغني اللغة فانه يوجد مئات من الألفاظ المنتهية بـ (mètre) او (grafe) .

وما المانع ايضا وايضاً من اقتباس « لواصق » (affixes) من لغات اجنبية ، اذا صعب علينا ايجاد لواصق مقتضبة من جذور عربية ؟ فلنا بما فعل الفرنج من ذلك خير مشجع : فقد اخذوا عدة لواصق من اللاتينية واليونانية خاصةً . وقد اقتدى بهم الارمن ، فصارت لغتهم قادرةً على التعبير عن أدق المعاني ، كما يتضح لمن يلقي ولو نظرة سريعة على معجم ارمني — فرنسوي .

« الخلاصة »

يستخلص من مقالنا هذا ان اللغة العربية ممكن ، بل متيسر إغناؤها ، بشرط ان يظهر أبناؤها من الاقدام ما يليق باصلهم النبيل وبمآثر النهضة الاخيرة وبحرية القرن العشرين .

هذا رأي بدا لنا أن نبسطه لأعضاء المجمع العلمي في دمشق . فعسى ان يجد له منهم أنصاراً .

بيروت : الخوري مارون غصن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net